الآيات ٢٧٢-٢٧٤

مستحقّو الصدقات

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٧٢): ورد في سبب نزولها روايات عديدة مضمونها واحد منها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كَانُوا " يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَنْسَابِهِمْ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ، فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ قَالَ: فَرَخَّصَ لَهُم"[١].

وروي أنّ ناسًا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع، وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام، فلمّا أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم.

وروى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ، مُرْسَلًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَلَمَّا كَثُرَ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَتَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ». فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُبِيحَةً لِلصَّدَقَةِ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ"[٢].

والخلاصة: أنّ مضمون سبب نزول هذه الآية: أنّ من أسلم كره أن يتصدّق على قريبه المشرك أو على المشركين، أو نهاهم النّبيّ ﷺ من التّصدّق عليهم فنزلت الآية في إباحة التصدق على أهل الذِّمّة تطوعًا.

سبب نزول الآية (٢٧٣): نزلت في أهل الصفة: وهم أربعمائة من المهاجرين، أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا.

سبب نزول الآية (٢٧٤): عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النّبيّ ﷺ قال: نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في أصحاب الخيل[٣]، وهم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله تعالى، ينفقون عليها بالليل والنهار، سرا وعلانية، نزلت فيمن لم يرتبطها تخيلاً ولا افتخارًا. ويدلّ على صحّة هذا، حديث أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ارْتَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَنْفَقَ عَلَيْهِ احْتِسَابًا، كَانَ شِبَعُهُ وَجُوعُهُ، وَرِيُّهُ وَظَمَؤُهُ، وَبَوْلُهُ وَرَوْثُهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

وقيل: "نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ حِينَ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ: عَشَرَةً بِاللَّيْلِ، وَعَشَرَةً بِالنَّهَارِ، وَعَشَرَةً فِي السِّرِّ، وَعَشَرَةً فِي الْعَلَانِيَةِ." وقيل: نزلت في عليّ ﷺ لم يَمْلِك إِلّا أَرْبَعَة دَرَاهِم، فَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ لَيْلًا، وَبِدِرْهَمٍ نَهَارًا، وَبِدِرْهَمٍ سِرًّا، وَبِدِرْهَمٍ عَلَانِيَةً[٥] وهي عامّة لمن فعل فعلهما.

المناسبة: أرشدت الآية السابقة المؤمنين إلى إعطاء الفقراء عامة، مسلمين وغير مسلمين، وصرحت هذه الآية بإباحة صدقة التطوع لغير المسلمين، سواء أكانوا مشركين أم من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)؛ لأن الله تعالى يرزق المؤمن والكافر من

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عباس، حديث رقم: ٣١٢٨، كتاب: التفسير، باب: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، الحديث إسناده صحيح.
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره، عن سعيد بن جبير، باب: سورة البقرة: آية ٢٧٢، ج٣، ص٣٣٧.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده، باب: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ﴾، ج٢، ص٥٤٢.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن أسماء بنت يزيد، حديث رقم: ٢٧٥٩٣، مسند: النساء، مسند: من حديث أسماء بنت يزيد، الحديث إسناده ضعيف.
(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف، باب: سورة البقرة، الآيات: ٢٧٥-٢٧٦، ج١، ص٣١٩.

خير الدنيا، وشأن المؤمن أن يتخلق بأخلاق الله، وأن يكون خيره عاما للناس؛ إشعارا بحب الخير والنفع للبشرية، وإدلالا على توافر صفة الرحمة والمحبة في قلب المسلم لكل إنسان، وإبعادا للعصبية الدينية التي من شأنها التهديم والتفريق والفتنة، وزرع الأحقاد والضغائن، والتنفير من قبول الإسلام ذاته القائم على التسامح، وترك أمر الهداية للدين لله تعالى، فإن الهداية من الله، وتقتضي الشفقة إعطاء المحتاج أيا كان دينه.

المعنى العام

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٢٧٢﴾.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس عن النّبيّ ﷺ: أنه كان يأمر بأن لا يُتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى آخرها فأمر بالصدقة[1] بعدها على كل من سألك من كل دين، وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾[2]، حديث أسماء بنت الصديق في ذلك[3].

يقول الحق ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي: لا يجب عليك يا مُحمَّد أن تخلق الهداية في قلوبهم، وليس من شأنك ذلك، إنما أنت نذير تدل على الخير، كالنفقة وغيرها، وتنهى عن الشر كالمن والأذى، وإنفاق الخبيث، وغير ذلك من المساوئ ولكن الله يهدي من يشاء بفضله وإحسانه، فالأمور كلها بيد الله خيرها وشرها، ولكن من جهة الأدب مآ أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك. من هنا أمرنا أن نعامل الناس كل الناس بالأخلاق المحمدية مثل الرحمة والصدق والعدل وجبر الخاطر ونشر هذه الأخلاق بين الناس وتعليمها للأطفال والله يهدي من يشاء.

وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه، ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله، وقال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله[4]، وهذا معنى حسن، وحاصله: أن المتصدّق إذا تصدّق ابتغاء وجه الله، فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب، سواءً أكان برًّا أو فاجرًا، أو مستحقًا أو لغيره، وهو مثاب على قصده، ومستند هذا: تمامُ الآية ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، والحديثُ المخرّج في الصَّحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى غَنِيٍّ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ. فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ أَنْ يَسْتَعِفَّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»[5].

(١) هذا الحكم خاص في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فلا يجزئ دفعها إلا إلى مسلم.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٣) هو حديث استئذانها بأن تَصِلَ أمَّها المشركة، فأذن لها النّبيّ ﷺ، رواه الشيخان وأحمد، وسيأتي في تفسير الآية السابعة من سورة «الممتحنة» إن شاء الله.
(٤) أي: عمل المعطى إليه.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٢٢، كتاب: الزكاة، باب: ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾. **يقول الحق** ﷻ اي: تجعلون ما تنفقونه للفقراء الذين أحصروا أي: حبسوا أنفسهم في سبيل الله وهو الجهاد، لا يستطيعون ضربا في الأرض أي: ذهابا وسعيا في الأرض للتجارة أو للأسباب، بل شغلهم الجهاد أو التفرغ للدعوة ونشر الدين أو التفرغ للتعلم عن الأسباب، وهم أهل الصفة، كانوا نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صفة المسجد، يستغرقون أوقاتهم في العلم والذكر والعبادة، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ.

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: «وقف النّبيّ ﷺ يوما على أصحاب الصفة، فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم، فقال: ﴿أَبْشِرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ، فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّعْتِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، رَاضِيًا بِمَا فِيهِ، فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي﴾» (١).

وقيل: المراد الفقراء مطلقًا، وخصوصًا الأرملة التي حصرها تربية أولادها عن العمل أو المرضى الذين حصرهم المرض في العمل، أو حصرهم ظرف معين عن الضرب في الأرض للتجارة، يحسبهم الجاهل بهم أغنياء من التعفف، أي: من أجل تعففهم عن السؤال، تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال.

وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم فيجازي على القليل والكثير، وهذا ترغيب في الإنفاق، وخصوصًا على هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: الجاهل بأمرهم وحالهم، يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم، وفي هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالْأُكْلَةُ وَالْأُكْلَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (٢).

وقوله: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾(٣) وقال في المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(٤).

وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي: لا يلحّون في المسألة، ولا يسألون إلا عند الحاجة، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة، روى البخاريّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينَ الَّذِي يَتَعَفَّفُ. اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ﴾ يعني قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ وقد رواه مسلم وأبو عبد الرحمن النّسائيّ، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة أيضًا مرفوعًا.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: " سَرَّحَتْنِي أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ، فَأَتَيْتُهُ فَقَعَدْتُ قَالَ: فَاسْتَقْبَلَنِي، فَقَالَ: ﴿مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ قِيمَةُ أُوقِيَّةٍ فَقَدْ أَلْحَفَ﴾ قَالَ: فَقُلْتُ: نَاقَتِي الْيَاقُوتَةُ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أُوقِيَّةٍ فَرَجَعْتُ، وَلَمْ أَسْأَلْهُ." (٥) والأوقية: أربعون درهمًا.

(١) ذكره الثعالبي في تفسيره، عن ابن عباس، ج٢، ص٢٨١.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٣٩، كتاب: الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٤) سورة مُحمّد، الآية: ٣٠.
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم: ١١٠٦٠، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الحديث إسناده قوي.

يقول الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾. أي الذين ينفقون أموالهم باللّيل والنّهار سرًّا وعلانية، ويعمرون أوقاتهم بفعل الخيرات، فلهم أجرهم عند ربهم إذا قدموا عليه، ولا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون على فوات محبوب، بل وجدوا الله فأغناهم عن كل شيء.

قيل: نزلت في أبي بكر ﷺ تصدق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة بالسر، وعشرة بالعلانية، أو في علي ﷺ لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا، ودرهم نهارا، ودرهم سرا، ودرهم علانية. وهي عامة لمن فعل فعلهما.

حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا كما ثبت في الصحيحين: أنّ رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضًا عام الفتح، وفي رواية: عام حجة الوداع: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهَا دَرَجَةً وَرِفْعَةً، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»[1].

وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»[2].

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. جواز التصدق على الكافر المحتاج بصدقة غير الزكاة فإنها حق المؤمنين.

٢. الله تعالى قد أرسل سيّدنا محمّد ﷺ رحمة للعالمين. فكل الخلق يستفيد من المسلم المؤمن المقتدي بسيّدنا محمّد ﷺ.

٣. وجوب الإخلاص في الصّدقة أي يجب أن يراد بها وجه الله تعالى لا غير.

٤. ليس عليك هداهم يا محمد: لكَ المقام المحمود، واللواء المعقود، والرتب الشريفة، والمنازل العليّة، والسُّنن المرضيّة. وأنت سيّد الأوّلين والآخرين، ولا يدانيك أحدٌ - فضلًا عن أن يساميك، ولكن ليس عليك هداهم فالهداية من خصائص حقّنا، وليس للأغيار منه شظيّة. يا محمّد: أنت تدعوهم ولكن نحن نهديهم.

٥. تفاضل أجر الصدقة بحسب فضل وحاجة المتصدّق عليه.

٦. فضيلة التعفُّف وهو ترك السؤال مع الاحتياج، وذم الإلحاح في الطلب من غير الله تعالى أما الله ﷻ فإنّه يحبّ الملحّين في دعائه.

٧. الفقير الصادق واقف مع الله بالله، لا إشراف للأجانب عليه، ولا سبيل لمخلوق إليه تنظره عين الأغيار في لبسة سوى ما هو به؛ قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ فأمّا من كان ذا بصيرة فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم. تعرفهم يا محمّد - أنت - بسيماهم، فليست تلك السيماء ما يلوح للبصر ولكنها سيماء تدركها البصيرة. لا إشراف عليهم إلّا بنور الأحدية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن سعد بن أبي وقاص، حديث رقم: ٤٤٠٩، كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مسعود، حديث رقم: ١٠٠٢، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين.

٨. ﴿أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وقفوا على حكم الله، وأحصَرُوا نفوسَهم على طاعته وقلوبَهم على معرفته، وأرواحَهم على محبته، وأسرارَهم على رؤيته

٩. جواز التصدق بالليل والنهار وفي السر والعلن إذ الكل يثيب الله تعالى عليه ما دام قد أريد به وجهه لا وجه سواه.

١٠. بَشَّرَ الله تعالى المؤمنين المنفقين بادخار أجرهم عنده تعالى ونفي الخوف والحزن عنهم مطلقا.

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ السَّخاءَ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، وأغْصانُها في الدُّنْيا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها جَرَّهُ إلى الجَنَّةِ»[١].

١١. إذا توجه القلب إلى مولاه تعرض له جندان، أحدهما: جند الأنوار، وهو جند القلب، والثاني: جند الأغيار، وهو جند النفس، فيلتحم بينهما القتال فجند الأنوار يريد أن يرتقي بالروح إلى وطنها؛ وهو حضرة الأسرار، وجند الأغيار يريد أن يهبط بالنفس إلى أرض الحظوظ والشهوات، فيحبسها في سجن الأكوان،فإذا أراد الله تعالى سعادة عبد، قوّى له جند الأنوار، وضَعَّفَ عنه جند الأغيار، فينهزم عنه جند الأغيار، ويستولي على قلبه جند الأنوار، فلا تزال أنوار تتوارد عليه حتى تشرق عليه أنوار المواجهة، فيدخل في حضرة الأسرار، وهي حضرة الشهود، ويتحصن في جوار الملك الودود.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- حدّد أناسًا ترى أن عليهم آثار الغفلة، ثمّ ألح على الله بالدعاء لهدايتهم، لعلّ الله يكتب لك أجرهم، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.

تحرم المسألة بلا حاجة ومن باب أولى شدّة حرمة الكذب رجاء الحصول على المال ومن فعل ذلك فالواجب عليه التوبة إلى الله ورد ما أخذ من مال إلى أصحابه.

فإن الكذب وهو الإخبار بخلاف الواقع حرام مطلقًا، وإذا ترتّب عليه أخذ مال الغير بغير حقّ كان أبلغ في التحريم، وفي الحديث: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[٣]، وهذا فيمن يسأل لغير الضّرورة سؤالًا منهيًّا عنه، وقوله تكثّرًا أي استكثارًا منها من غير ضرورة ولا حاجة.

قال النووي: وهذا فيمن يسأل لغير الضرورة سؤالًا منهيًّا عنه، وقوله تكثرًا أي استكثارًا منها من غير ضرورة ولا حاجة.

عن رسول الله ﷺ أنه سأله قبيصة أن يساعده، فقال له ﷺ: «اجْلِسْ حَتَّى تَأْتِينَا صَدَقَةُ بَنِي فُلَانٍ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا»، ثمّ قال: «يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يَمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-. قَالَ: وَمَا سِوَى ذَلِكَ -يَا قَبِيصَةُ- سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»[٤]. فهذا يدل على أن المسألة إذا كانت بغير الأوجه الثلاثة تكون محرمة.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، عن جابر، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النّسّاك والعباد، باب: سفيان الثّوريّ ومنهم الإمام المرضيّ والورع.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن حمزة بن عبد الله عن أبيه، حديث رقم: ١٠٤٠، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٤١، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن قبيصة، حديث رقم: ١٠٤٤، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة.

باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

عن ابن مسعود ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» (١).

معناه: ينبغي أن لا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله. ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ» (٢).

وعن عدي بن حاتم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣).

باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

وقال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونَ﴾ (٧).

وأما الحديث: عن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (٨).

باب المجاهدة في الله تورث الإحسان واليقين

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩).

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١٠).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (١١) أي انقطع إليه.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ﴾ (١٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١٤). والآيات في الباب كثيرة معلومة.

أمّا الأحاديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (١٥).

عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» (١٦).

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخاريّ. (٣) متفق عليه. (٤) سورة هود، الآية: ٦. (٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٧. (٧) سورة الذّاريات، الآيتان: ٥٦- ٥٧. (٨) متفق عليه. (٩) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(١٠) سورة الحِجر، الآية: ٩٩. (١١) سورة المُزّمّل، الآية: ٨. (١٢) سورة الزّلزلة، الآية: ٧. (١٣) سورة المُزّمّل، الآية: ٢٠.
(١٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٥. (١٥) رواه مسلم. (١٦) متفق عليه.

في الأخلاق والآداب

من الأخلاق المحمّديّة: العِفّة والقناعة وإذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استَعَنْتَ فَاستَعِن بالله

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمَيِ الله تعالى **"الغنيّ المُغني"**.

والتّعلُّقُ باسم الله تعالى **"الغنيّ"** يكونُ بأن يستمدَّ الإنسانُ مِن الله كلَّ ما يحتاجُه حتّى يَستغنيَ به عن غيرِه ولا يسألَ حوائجَه إلّا منه ولا يطلبَ العون إلّا منه ولا يطمعَ إلّا بهِ وبالفوزِ بقربِه ورِضاه. فالطّمع بالله تعالى عطاء وبغيره حرمان.

والتّخلُّقُ باسم الله تعالى **"المُغني"** هو أن يربّيَ نفسَه وأولادَه على العِفّة والغِنى، وأن يكتفوا بما قسمَ لهم الله ولا ينظروا إلى ما عندَ الآخرين فيشتهوه، بل يشعرُ دومًا بالغنى لأنّه استغنى بالله عَمَّن سِواه. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾[1].

- بيتُك صغيرٌ ولكنّك مقتنعٌ به؟ سيشعرُك الله أنّه كبيرٌ وواسعٌ وينشرحُ بهِ صدرُكَ. بيتُك كبيرٌ ولستَ راضيًا بِهِ؟ سَتَراهُ صغيرًا ضيّقًا ولا تطيقُ المُكوثَ فيه. ستَظَلُّ بعينك فقيرًا لأنّك لا تنظرُ إلى ما يوجَدُ عندَك وإنّما ما يوجَدُ عندَ غيرك. القناعة سبب السّعادة والهنا والطّمع سبب التّعاسة والشّقاء.
- **العفّة** هي ألّا تشتهي ما ليس لكَ، وترضى بما قسمَه الله لك. فالعفيفُ تظنُّهُ غنيًّا من التّعفّفِ ولكنّه قد يكون فقيرًا جدًّا وهكذا هو يعيش غنيًا وإن كان فقيرًا. والعفيف لا يكونُ عندَه طمعٌ، أي لا يطلقُ العنانَ لأمنياتِهِ وشهواتِهِ ويحلمُ بما ليس له. قالَ الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2].
- **الإفراطُ** هو أن تكون شَهوانيًا، وتشتهي أكثر ممّا عندك، مثلًا: مَن ليسَ معَه مالٌ ولا يستطيعُ شراءَ بيتٍ فلا يطلقُ لشهوتِهِ العنانَ. ولا يقول: "أنا أريدُ هذا المنزلَ وسأحصلُ عليهِ" فهو ليس لك، بل قُل: "إذا كان هذا البيتُ خيرًا لي، فيا ربّ ارزقْني إيّاه، وإن لم يكن خيرًا لي فاصْرِفْهُ عنّي واصرفني عنه، فالخيرةُ فيما اختاره الله". والله يُعطيكَ ما هو أنسبُ لَكَ في الوقتِ المُناسِبِ والطّريقَةِ المُناسِبَةِ.
- **التّفريطُ** هو حينَ يُعطيك الله شهوةً وقدرةً في أمرٍ يحلُّ لكَ ولكنّك تتركُه، سواء كان بيتًا أو طعامًا أو زوجًا أو زوجة. مثلًا: إن كنت بحاجةٍ إلى سيّارة ومعكَ المالُ الكافي ولم تشترِ ما تحتاجُ إليه فهذا اسمه تفريط.

والنّبيّ ﷺ عندما رأى رجلًا سيّئَ الهَيْئَةِ (ثيابُهُ رَثَّةٌ وقبيحةُ المَنظرِ) قال": "ألَكَ مال؟ قال: نعم فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ))[3].

- **الطّمعُ** واستشرافُ النّفس هو تعلّقُ القلبِ بما في أيدي النّاسِ وبما ليسَ بيدِكَ، وهو ما يسبّبُ الذّلَّ للإنسانِ وهوَ أمرٌ مَذمومٌ. الطّمعُ يَكونُ في الدُّنيا والهوى كمن كان طامِعًا بوزارةٍ أو إمارةٍ أو مالٍ أو مدحٍ أو ثَناءٍ. وعِلاجُ الطّمعِ هو عفّةُ النّفس وكفّها عن النّظرِ في أحوالِ النّاس وما عندَهُم من نِعَمٍ دُنيويّةٍ كما قال تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾[4] فَلْتَكُنْ عَفيفًا، لا تنظُر ولا تَطمَعْ إلى ما ليس عندك وعند غيرك.
- لِمَ نَطْلُبُ العِفَّةَ مِن عامِلَةِ المنزلِ المسكينَةِ وَنَنسى أنفسَنا؟ وكَم نَنزعِجُ حين لا يُعجِبُها شيءٌ مما نُقَدِّمُه لَها مِن هدايا لأنّها تُريد فُستانًا مثل فستانك وحذاءً مثل حذائك... والسّببُ أنّها ليست عفيفةَ النّفس.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه. رقم الحديث: ٢٨١٩. كتاب: أبواب الأدب. باب: ما جاء إنّ لله تعالى يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده. الحديث حسن.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.

أليس هذا ما نفعلُه تجاهَ الله ﷻ؟ فهو يُعطينا الكثيرَ ويختارُ لنا ما يُناسِبُنا مِنَ الهدايا أي النِّعَمِ ونقولُ "هذا لا يعجبُني، أريد مثلَ ما أعطيتَ فلانًا!". ومِن جِهَةٍ أُخرى، كَمْ تُسعِدُنا ردّةُ فعلِ عاملةِ المنزلِ حينَ نقدّمُ لها هَديّةً فتفرحَ بها لأنّها لا تنتظرُ شيئًا مِنّا! هذه هي العفّةُ!

قصة من الحياة المعاصرة:

حدثت قصّةٌ مع أحدِ أغنى الأثرياءِ في الصّين، إذ أنّ رجلًا أدّى له معروفًا فأحبَّ أن يُكرمَهُ بعطاءٍ كبيرٍ تعبيرًا عنِ امتنانِهِ وشكرِهِ لَه. فقالَ لهُ الغنيُّ الّذي يعلَم كم أنّ أرضَ الله واسِعَةٌ: "كلُّ أرضٍ تطأُها قدماك مِن هنا حتّى ٢٤ ساعة مَشيًا، فَهي لكَ!". شرط أن تمشي فيها ذهابًا وإيابًا! فإذا انقضت المدّة دون أن تعود إلى نقطة الانطلاق، خسرتَ كلّ شيء". فرحَ هذا الرّجلُ فرحًا شديدًا وأرادَ الحصولَ على أكبرِ مساحةٍ ممكنةٍ. فصارَ يَمشي ويَمشي، فنظرَ وراءَه ووجدَ أنّ مساحةَ الأرضِ كبيرةً وأصبحَت مُلكَهُ! ولكن نظرَ بعيدًا فرأى نهرًا وأرادَ أن يَضمَّه إلى أرضِه، فمشى حتّى تَعِبَ، ولكن قال: "هذه أرضُ النّهرِ لا تصلح إلّا إذا كانَ لها مدخلٌ مِن الجهةِ الأخرى".

فصارَ يمشي ويمشي، طامِحًا إلى أرضٍ أوسع! فقال: "ولكن هذه الأرضُ لن تنفعَني إن لم آخذْ معها الغابةَ الّتي حولَها!" فأكملَ مَشيَهُ... حتّى أُغمِيَ عليه! فوقعَ في وسطِ الغابةِ واجتمعَ النّاسُ مِن حوله، وبَدَلَ أن يُسعفوه، سَرقوه أوّلًا ثمّ رَموه! استيقظَ بعد مُرورِ وقتٍ طويلٍ، وكانت الـ٢٤ ساعة قد انتهت، فخسِرَ هديّتَه القيّمةَ بِسببِ طمعِه، ولم يعُدْ إلى الرّجلِ الثّريّ لانتهاءِ المدّةِ ولم يأخذْ شيئًا! هكذا هو الطّمعُ يَضرُّ ولا ينفعُ، فقد قال ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ ابن آدَمَ سَأَلَ وادِيًا مِنْ مالٍ فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثانِيًا وَلَوْ سَأَلَ ثانِيًا فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إِلّا التُّرابُ»[1].

التوجيهات:

- الداعية يهتم بإيصال الدعوة على الوجه المطلوب، وليس مطالبًا بأن يستجيب الناس لدعوته، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.
- عوّد نفسك العفّة وترك سؤال الناس، وطلب الحاجات منهم؛ فإن من استغنى بالله أغناه الله، ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

في السّيرة والشّمائل

إخراجه ﷺ كل المال الذي كان عنده وعتق عبيده:

روى ابن سعد والطّبرانيّ - برجال الصحيح- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كان عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وضعها عند عائشة فلمّا كان في مرضه قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، ابْعَثِي الذَّهَبَ إِلَى عَلِيٍّ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَشَغَلَتْ عَائِشَةَ مَا بِهِ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ مَرَّارًا. كُلُّ ذَلِكَ يُغْمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُشْغِلُ عَائِشَةَ مَا بِهِ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ فَتَصَدَّقَ بِهِ. ثُمَّ أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ، فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ النِّسَاءِ بِمِصْبَاحِهَا فَقَالَتْ: اقْطُرِي لَنَا فِي مِصْبَاحِي مِنْ عَكِيكِ السَّنِّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْسَى فِي جَدِيدِ الْمَوْتِ»[2].

(١) رواه أحمد في مسنده، عن أُبي بن كعب، حديث رقم: ٢١٢,٢، مسند الأنصار، حديث زر بن حبيش، عن أُبي بن كعب.
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: ٥٩٩٠، كتاب: السين، باب: يعقوب بن عبد الرحمن الزهري أصله مدني.

وروى ابن سعد أيضًا عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب أنّ رسول الله ﷺ قال لعائشة - وهي مسندته إلى صدرها: ﴿يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلْتِ تِلْكَ الذَّهَبَ؟﴾ قالت: هي عندي. قال: ﴿فَأَنْفِقِيهَا﴾ ثمّ غشي عليه وهو على صدرها فلما أفاق، قال: ﴿هَلْ أَنْفَقْتِ تِلْكَ الذَّهَبَ يَا عَائِشَةُ؟﴾ قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فعدّها، فإذا هي ستة دنانير، فقال: ﴿مَا ظَنَّ مُحَمَّدٌ بِرَبِّهِ أَنَّ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟﴾[1] فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

وروى مسدّد وابن أبي عمر وابن أبي شيبة والإمام أحمد - برجال الصحيح- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه: ﴿مَا فَعَلْتِ بِالذَّهَبِ؟﴾ قلت: هو عندي يا رسول الله، قال: ﴿ائْتِ بِهَا﴾ فأتيت بها فجعلها في كفّه وهي بين الخمس والسبع فرفع بها كفّه وقال: ﴿أَنْفِقِيهَا﴾ وقال: ﴿مَا ظَنَّ مُحَمَّدٌ إِنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ أَنْفِقِيهَا﴾.

وروى أبو طاهر المخلص عن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده قال: أعتق النّبيّ ﷺ في مرضه أربعين نفسًا.

في السّلوك

الإشارة: ما قيل في الرسول ﷺ يقال في ورثته من أهل التذكير، فليس بيدهم الهداية والتوفيق، وإنما شأنهم الإرشاد وبيان الطريق، فليس من شأن الدعاة إلى الله الحرص على هداية الخلق. وإنما من شأنهم بيان الحقّ. ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ما أفلح مَن أفلح، وخسر مَنْ خسر، إلا من نفسه وفلسه، فمن جاد بهما، أو بأحدهما، فقد فاز وأفلح وظفر بما قصد، والجود بالنفس أعظم، وهو يستلزم الجود بالفلس، والجود بالفلس، إن دام، يوصل إلى الجود بالنفس، والمراد بالجود بالنفس: إسلامها لله يفعل بها ما يشاء، وتكون الإشارة من شيخ التربية فيها كافية عن التصريح، ومن بخل بهما أو بأحدهما، فقد خسر وخاب في طريق الخصوص، ومصرف ذلك هو في سبيل الله والنفع العام، أو الفقراء المنقطعون إلى الله الذين حصروا أنفسهم في سبيل الله، وهو الجهاد الأكبر.

الإشارة: أجر بذل الأموال هو إعطاء الثواب من وراء الباب، والأمن من العذاب وسوء المآب، وأجر بذل النفوس هو دخول حضرة القدوس، والأنس بالأحباب داخل الحجاب، فمن بذل نفسه لله على الدوام، أمنه من الحجبة في دار السلام، فلا خوف يلحقهم في الدارين، ولا يعتريهم حزن في الكونين. وبالله التوفيق.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

ما دام لهم مال لا يفترون ساعة عن إنفاقه ليلًا ونهارًا، فإذا نفد المال لا يفترون عن شهود الله تعالى لحظةً ليلًا ونهارًا.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

(١) رواه أحمد في مسنده، عن عائشة، حديث رقم: ٢٥٤٩٢، مسند: النساء، مسند: الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، الحديث صحيح.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

في الأدعية والأذكار

- اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ.
- **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدى وَالتُّقى، وَالعَفافَ وَالغِنى»**[1].
- **«اللَّهُمَّ ارزقنا رزقًا حلالًا يكفينا ولا ترزقنا رزقًا يطغينا»**.
- **دُعاءُ النَّفس المُطْمَئِنّة:** اللَّهُمَّ هَبْ لنا نُفوسًا مُطْمَئِنَة تُؤْمِن بِلِقائِك وتَرْضى بِقَضائِكَ وتَقْنَع بعَطائك وتُديمُ شُكْرَ نَعْمائِكَ واجعَلنا من خيرَةِ أحْبّائِكَ وأوليائِكَ ومن أنْفَعِ عِبادِكَ لِعِبادِكَ في حياتنا وبعد مماتنا بِيُسْرٍ ولُطْفٍ وعافِية.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود. رقم الحديث: ٢٧٢١. كتاب: الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار. باب: التّعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل. (العفاف) العفاف والعفّة هو التّنزّه عما لا يباح والكفّ عنه (الغنى) الغنى هنا غنى النّفس والاستغناء عن النّاس وعما في أيديهم.